الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية لبناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام)

م.م. هيفاء كاظم إسماعيل
باحثة: دموع كاظم إسماعيل

المقدمة:

أن مفهوم السياسة عند الإمام علي (عليه السلام) يستقي معناه من مفهومين القرآني والنبوي حيث وردة في الحكم السياسة القصار للإمام علي (عليه السلام) مفردة السياسة وما يتعلق بها من حاجة الدولة إلى أسس سياسية واجتماعية ومالية في بنائها. وان الإمام علي (عليه السلام) خلف في العدالة الاجتماعية والسياسية والمالية منظومة متكاملة تصعب الإحاطة بمضامينها ومعانيها، ما نهل منه شارب إلا وخرج ينفع الناس كافة. كما إن نهج الإمام علي (عليه السلام) يتضمن هدفه الأساسي إصلاح الناس والدولة، لذلك كانت خطبة ورسائله وأقواله عن شؤون المجتمع والدولة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمالية... الخ، والحفاظ على امن المجتمع وسلامته وتامين الحياة الكريمة. ومن الناحية الاجتماعية سعى الإمام علي (عليه السلام) إلى ترسيخ أسس العدالة في المجتمع ومحاربة الفقر والجهل والهدر بالأموال العامة والقضاء على الصراعات على الحكم، وإرجاع حق المظلوم والمساواة بين الجميع في العطاء، وأمر أصحاب الأموال والثروات بدفع ما عليهم من الحقوق إلى بيت المال والحفاظ على الأموال العامة للدولة. إما من الناحية السياسية فقد كان الإمام (عليه السلام) ييسط العدالة في السياسة، وبقية على نهج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مواظبا على مجلس الشورى ليتشاور في أمور الدولة والمجتمع.

أهمية البحث:

تسعى فكرة الإمام علي (عليه السلام) إلى بناء دولة مستقرة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومالياً، أي الحفاظ على الاستقرار المجتمعي، وتوفير فرص للتنمية المستدامة، وتكوين دولة ناجحة.

مشكلة البحث:

تعد الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية من أهم الأمور التي يجب دراستها وتحديدها بدقة، وخلاف ذلك تكون أكبر مشكلة تواجهها الدولة، لذا نكمن مشكلة البحث في دراسة هذه الأسس بالشكل المطلوب ومعالجتها، وإشباع حاجات المجتمع الضروري والمحافظة على الأموال العامة للدولة، ومن ثم تكوين دولة ناجحة.

فرضية البحث:

قدم الإمام علي(عليه السلام) أسساً واضحة، اجتماعية وسياسية ومالية، بحيث تصبح الدولة حديثة وناجحة، وتستطيع المساهمة في تحقيق أهداف المجتمع، والمحافظة على الأموال العامة ومكانتها بين الدول.

أهداف البحث:

١- يسعى هذا البحث إلى مفهوم الأسس الاجتماعية والسياسة المالية في فكر الإمام علي(عليه السلام).

٢- يهتم هذا البحث بدراسة العلاقة بين الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية في فكر الإمام(عليه السلام).

٣- يسعى إلى معرفة كيفية المحافظة على المال العام في فكر الإمام علي(عليه السلام).

٤- يسعى هذا البحث إلى معرفة إجراءات الإمام علي(عليه السلام)، لرعاية النشاطات السياسية والمالية والاجتماعية.

٥- يهدف هذا البحث إلى دراسة الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية لبناء الدولة في فكر الإمام علي(عليه السلام).

المبحث الأول: الأسس الاجتماعية والسياسية والمالية

١-١: مفهوم الأسس الاجتماعية:

يقصد بالأسس الاجتماعية مجموعة من المقومات أو الركائز ذات العلاقة بالمجتمع(المرسي، ٢٠١٢: ٥)، وتتكون الأسس الاجتماعية(البناء الاجتماعي) للدولة وفق المنظور الماركسي من بنيتين أساسيتين هي البنية التحتية والبنية الفوقية، والبنية التحتية تتكون من علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج، إما البنية الفوقية تتكون من السياسة

والقانون والفن والأدب والفلسفة والدين ويحدث التغيير في البناء الاجتماعي نتيجة التفاعلات التي تحدث في البنية التحتية أي بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج والتي يسميها (ماركس) بالعلاقات الاجتماعية (صديق، ٢٠١١: ٣٢٧).

١-١-١: تعريف الأسس الاجتماعية:

وتعرف الأسس الاجتماعية هي القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع الدولة وبنائها وتتمثل في التراث الثقافي للمجتمع والقيم والمبادئ التي تسوده والحاجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها والأهداف التي يحرص على تحقيقها وهذه القوى تشكل ملامح الفلسفة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات وفي ضوءها تحدد فلسفة الأسس التي بدورها تحدد محتوى الدولة وتنظيمه واستراتيجيات الأنشطة التي تعمل كلها في إطار متسق لبلوغ الأسس الاجتماعية لبناء الدولة.

كما تعرف الأسس الاجتماعية على أنها الأسس التي تقام بطريقة مقصودة لتحقيق أهداف محددة وتتخذ طابعاً بنائياً يلائم تحقيق هذه الأهداف وقد تختلف المسميات (البيروقراطية، البناء الاجتماعي.. الخ) ولكن جوهرها واحد ويتحدد بشكل الأسس الاجتماعية عن طريق وظائفها، ويقول (فليتشر) البناء الاقتصادي هو الأساس الحقيقي للمجتمع ومنه تنبثق المؤسسات التشريعية والسياسية للبناء الأعلى الذي يشغل بدوره الأساس الاجتماعي (Fletcher, ١٩٧٢: ٣٨٨).

وعرفت القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع المنهج وتنفيذه وتتمثل في التراث الثقافي لله يجتمع والقيم والمبادئ التي تسوده والحاجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها والأهداف التي يحرص على تحقيقها (السيد، ٢٠٠٩: ٣).

١-١-٢: النظام الاجتماعي عند الإمام علي (عليه السلام):

قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض الأعمال التأسيسية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء المجتمع، وبناء الروح الإسلامية السامية، وبناء الدولة العادلة، وهذه الأعمال لا تنحصر بعدد معين لأنها تمتد على طول المرحلة الزمنية التي عاشها النبي بعد الهجرة. ومن أهم وأبرز الإنجازات التي قام بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، في سبيل تركيز دعائم المجتمع الإسلامية المبني على أسس الصلاح عملية المؤاخاة بين

المسلمين، وذلك كعملية تمهيد للهجرة حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب التي تحتاج إلى التعاون والتعاقد بأعلى مراتبه. فكانت عملية المؤاخاة تهدف إلى السمو بالعلاقات الاجتماعية بين الناس عن المستوى المصلحي وجعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الأخوة.

وكذلك من إنجازاته (صلى الله عليه وآله وسلم)، عملية إلغاء الفوارق الاجتماعية والطبقية، حيث قام بإلغاء بعض الامتيازات القائمة بين الناس وأوجد مكانها مفاهيم العدالة والأخوة والمحبة والتواضع بين أفراد البشر.

وهذه السياسة بعينها أنتهجها الإمام علي (عليه السلام)، حينما تولّى الخلافة. حيث وجد المجتمع غارقاً في وحول التفرقة وعدم الألفة بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، فكان يدعو ولاته في جميع الأمصار إلى أن يُحسنوا معاملة الناس من دون تمييز أحد على آخر (رزق، ٢٠١٣: ٣).

ففي كلام له في عهده إلى مالك الأشرقي يقول الإمام (عليه السلام) "وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبباً ضارياً، تغتم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير في الخلق" (نهج البلاغة، ج ٥٦).

بهذه الكلمات البليغة والمعبرة وغيرها.. أوضح الإمام (عليه السلام)، أبعاد الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لتكون ثورة تحرر الفكر البشري من خرافات الجاهلية ومآسيها وقوانينها، وتوجه الناس نحو طريق الخير والسعادة وبناء الذات والمجتمع المثالي ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، وليكون المؤمنون أخوة، وكالجسد الواحد الذي كلما اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى لا كما علمتهم الجاهلية بأن يقتل الإنسان أخاه الإنسان، أو يعتدي عليه وينهب أمواله (صديق، ٢٠١١: ٣٢٩).

١-١-٣: الإمام علي (عليه السلام) والنظام الاجتماعي والمجتمع:
يتكوّن المجتمع البشري من مجموعة أفراد تربطهم أنظمة وتقاليد وآداب وقوانين معينة، ويشكل هؤلاء الأفراد سلسلة مترابطة الأجزاء لا تستغني فيها حلقة عن أخرى، وتسود

بينهم مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأخلاق والطبائع توحدهم وتجمعهم على أساس قوانين وحقوق وواجبات، ولا تفرقهم الفتن والأهواء. وهذه الأنظمة والقوانين تتكون من خلال الاحتياجات الاجتماعية المشتركة، والعلاقات الإنسانية التي تربط بين أفراد المجتمع وتجعل حياتهم مشتركة إلى حد كبير، بحيث يمكن وصف هؤلاء الأفراد بالمسافرين الذين يمتطون وسيلة نقل واحدة ويتجهون نحو هدف واحد ويشتركون معاً في بلوغ الهدف المنشود، كما يشتركون في الفشل الذي قد يصيبهم في طريق تحديد ذلك الهدف (رزق، ٢٠١٣: ٥).

ويرى الإمام علي (عليه السلام)، أن من أقدس أهداف الإسلام وأسمائها إيجاد هذه الروابط والعلاقات الاجتماعية، وبناء المجتمع البشري الصالح الذي يتحلّى فيه الأفراد بروح الجماعة، والتخلي عن الذات وذوبانها في المجتمع.

ورؤية الإمام علي (عليه السلام) تتجلّى بوضوح في حديثه عن أسباب بعثة النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول "بعثه والناس ضلال في حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبراء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة" (نهج البلاغة الخطبة، ٩٣).

وفي وصفه لحالة العرب الجاهلية وبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول "إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة" (نهج البلاغة الخطبة : ٢٦).

وإن الدراسة الواعية والدقيقة لكل تفاصيل الحياة، التي عاشها الإمام علي (عليه السلام)، ولكل ما ورد من كلامه وخطبه في نهج البلاغة، تُظهر لنا كيف حدّد الإمام (عليه السلام)، معالم النظام الاجتماعي الإسلامي بأدق معانيه وتفصيله، والذي على أساسه تتحدّد الروابط والعلاقات التي يجب أن تحكم علاقات البشر مع

بعضهم البعض، حيث كانت أعماله وأقواله مثلاً رائعاً يحتذى به في جميع الجوانب، وبالأخص من جهة المواصفات التي تميز بها الإمام (عليه السلام) في بث روح الإخاء والمحبة بين المسلمين، وحرصه على وحدة الصف والكلمة.

وامتاز الإمام (عليه السلام)، بالحلم والصفح، بل كان كما قيل فيه: أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر هذا يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضاً فصفح عنه.

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد حيث خطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب، وكان الإمام (عليه السلام)، يقول ما زال الزبير لاجئاً من أهل البيت حتى شبَّ عبد الله، فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك، ولم يزد على ذلك، وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

ودعا الناس إلى نبذ التعاليم الجاهلية والالتجاء إلى التعاليم الإسلامية التي أنقذت الإنسان من الظلم والجهل والضلال. ففي كلام له (عليه السلام) يقول "ولا تكونوا كجفأة الجاهلية، لا في الدين يتفقّهون، ولا عن الله يعقلون، كقيض بيض في أداح، يكون كسرّها وزراً، ويخرج حضائنها شراً" (طه، ١٩٩٧: ١٨٢).

وكان للإمام علي (عليه السلام) الدور الكبير في وضع المناهج التربوية الحية لتنظيم سلوك الإنسان، وتطوير حياته، وبناء حضارته، على أسس تتوافر فيها جميع عوامل الاستقرار النفسي. ولقد نظر الإمام (عليه السلام) بدقة وبعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه، ونفسه، وأسرته، ومجتمعه، وحكومته وغير ذلك، فوضع له نظاماً خاصاً لهذه الحقوق والواجبات، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها لئتم بذلك إنشاء مجتمع إسلامي تسوده العدالة الاجتماعية، والعلاقات الوثيقة بين أبنائه التي تقوم على أساس الثقة والمحبة، وغيرها من وسائل التقدم في الميدان الاجتماعي وتنظيم علاقات الناس في كل المجالات. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن النظام الذي وضعه الإمام علي (عليه السلام) يشكل الأساس السليم لكل العلاقات في المجتمع الإسلامي والذي يدور ضمن هذه المحاور التالية وهي:

أولاً: علاقة الإنسان بالله تعالى.

ثانياً: علاقة الإنسان مع نفسه.

ثالثاً: العلاقات الاجتماعية الخاصة.

رابعاً: العلاقات الاجتماعية العامة.

أولاً: أسس الإمام علي (عليه السلام) دعائم العلاقة السليمة التي ينبغي أن تقوم بين الإنسان وخالقه كالتسليم المطلق لإرادته تعالى والعبودية الخالصة له والخشية والخوف منه، وطاعته والتوجه إليه وحده دون سواه.

ثانياً: وضع الإمام علي (عليه السلام) الخطط والبرامج التربوية للإنسان المسلم التي تكفل له عملية بناء الذات الإنسانية وتربيتها وفق الموازين الإسلامية الصحيحة. مثل إرشاداته عليه السلام في مراقبة النفس الإنسانية ومحاسبتها ومجاهدتها وتعويدها على الطاعة والعبادة، وترويضها على التقوى وأعمال الخير والإحسان.

ثالثاً: فقد دعا الإمام علي (عليه السلام) في جملة نصائحه التي تضمنتها أقواله وأفعاله إلى الاهتمام بكل الجوانب التي تقع في ضمن العلاقات الإنسانية كالعلاقة مع ذوي القربى من الأرحام والعلاقة الأسرية الزوج والزوجة الأولاد، وفي المحور الرابع رسم الإمام علي عليه السلام أرقى المناهج في العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة الإسلامية على قاعدة المحبة والوئام والاحترام المتبادل، وهذا واضح من خلال كلماته عن الأخوة وآثارها وفوائدها.

رابعاً: فإننا لا ندعي الإحاطة الشاملة بأبعاد الرسالة الاجتماعية للإمام (عليه السلام) التي تمكّن العارف بها من صياغة برنامج اجتماعي يضمن ويكفل سعادة البشرية مهما اختلفت آراؤها وأفكارها. فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) رائد هذه الحركة الفكرية التي ينبغي لكل الناس الاستلهام والاقتباس من معينها لتضمن لنفسها السعادة والرفي والهناء (النصراوي، ٢٠١٥: ٦).

٢-١: مفهوم الأسس السياسية:

إن النظام السياسي نظام ديمقراطي يقوم على التعددية السياسية والحزبية بهدف التداول السلمي للسلطة والأحزاب السياسية عماد العمل السياسي الديمقراطي وحرية تكوين الأحزاب مكفولة دون حاجة إلى الحصول على ترخيص من أي جهة إدارية.

١-٢-١: تعريف الأسس السياسية:

هي القيام بالأمر بما يصلحه فهي تتناول كل ما يتعلق بحكم الدولة وإدارة العلاقات الخارجية، وتعني أيضاً الشؤون العامة والإحداث.

القانون السياسي: هو مجموعة القوانين التي تحدد النظم الحكومية وتعني العلاقات بين السلطة والمواطنين. ويمكن تعريفها علم حكم الدولة أو دراسة المبادئ التي تقوم عليها الحكومات والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين وبالذول الأخرى.

والتعريف الحديث السياسة: هي فن حكم المجتمعات الإنسانية. وعلى الصعيد الديني تعرف حب التحرك من اجل رعاية الناس وتأمين مصالحهم وتخيلصهم من واقع سيء إلى واقع أفضل (عاصي، ١٩٩٦: ١١-١٢).

وقال الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم): "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالرجل راع على أهله بيته والمرأة راعية على بيت بعلمها وهي مسؤولة عنهم" ويقول الإمام علي (عليه السلام) "اتقوا الله في عباده وبلاده فأنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم" (الريشهري، ٢٠١٤: ٣٢٧).

٢-٢-١: الرؤية السياسية في الحكم عند الإمام علي (عليه السلام):

إن الرؤية السياسية التي تبناها الإمام (عليه السلام) في دولته كانت ذات آليات متطورة تبعا للمنهج الإسلامي وتصوراتاه ولما يمتلك من خبرة دينية وعسكرية واجتماعية جعلته مؤهلا لان يكون صاحب منهج متميز في إدارة شؤون الدولة عسكرياً واجتماعياً لذا يرى أمير المؤمنين إن بقاء القيادة السياسية الأولى للدولة في العاصمة وعدم خروجها للحرب أصلح فبقاؤها لإدارة شؤون الجنود والعسكر في الولايات وإدارة بيت المال واقتصاديات الدولة وبسط العدل والقضاء والعمل لاستقرار الدولة والمجتمع وتقدمها بينما تذهب القيادات العسكرية لمحاربة العدو وقتاله (السعيدى، ٢٠٠٠: ٦).

إن من أهم الصعوبات التي تواجه الحاكم بعد توليه زمام الأمور حب مسألة تشكيل الوزارة وتوزيع الحقائق الوزارية في الدولة وتطعيم مؤسسات الدولة بالعناصر الكفوءة المختلفة والقادرة على تعريف الأمور لذلك كان على الإمام (عليه السلام) إن يغير البناء السياسي والتشكيلة الوزارية التي كانت من قبله، فاعتمده على عزل العناصر الفاسدة واستبدل مكانها العناصر المؤمنة وأصحاب السمعة الجيدة في الوسط الاجتماعي والسياسي والذين كان لهم بعد ذلك دور كبير في دولته وحكومته أمثال (مالك الاشر، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس... وغيرهم) من الوجوه المعروفة بالورع والإيمان، ثم انه من الركائز الأخرى التي انتهجها هو عدم انحجابه عن الناس والمؤمنين والجلوس لسماع مشاكلهم مع السلطة والموظفين مما يكون ذلك سببا للمتابعة فضلا عن وضع شرطه سرية ترصد حركات الموظفين والعمال الحكوميين مما يساعد الإمام (عليه السلام) على سياسة العزل والتنصيب وأيضا التامين الاجتماعي للعاطلين والعاجزين عن العمل بحيث يصرف لهم من بيت المال راتباً شهرياً وإنعاش الاقتصاد عبر نظام اقتصادي يتيح للفرد التملك ضمن سياسة إحياء الأراضي فكان الإمام علي (عليه السلام) يشجع على التنمية الاقتصادية والزراعية فضلا عن إلغاء المحسوية والرشوة والطرق الملتوية في نظام الحكم الجديد واعتماده على المساواة وإلغاء الحواجز العنصرية في سبيل مجتمع متكامل (طه، ١٩٩٧: ١٨٠).

١-٣: مفهوم الأسس المالية:

إن السياسة المالية: هي تلك الجهود والمحاولات الحكومية المعتمد عليها في تحديد مصادر الإيرادات العامة وتحديد الأهمية النسبية لكل منها وكذلك تحديد الكيفية التي تستعمل بها هذه الإيرادات العامة لغرض تحويل الإنفاق العام، وذلك لتحقيق الأهداف الاقتصادية المختلفة ولاسيما تحقيق الاستقرار الاقتصادي. وهناك تعاريف أخرى عديدة لا تخرج عن التعريف السابق مفادها إن السياسة المالية أداة الدولة التي تستطيع بواسطتها التأثير على النشاط الاقتصادي لغرض تحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية مختلفة بمعنى أنها أداة بيد الدولة تستطيع إن تستعمل بواسطة إيراداتها ونفقاتها لتحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ومثال ذلك التصوف بالاقتصاد الوطني وتحقيق

الاستقرار الاقتصادي ودفع عجلة التقدم وتقليل التفاوت في توزيع الدخل والثروات ومحاربة أو علاج التضخم والكساد (الانكماش) (بجيت ومطر، ٢٠١٢: ١٩٠).

١-٣-١: العوامل التي يجب أخذها بنظر الاعتبار لتفعيل الأسس المالية:

أ- تفعيل عناصر الممانعة الفكرية والثقافية تجاه الأفكار الهدامة الداعية للإرهاب والمروجة له وتحول بعض وسائل الإعلام وبعض دور العبادة وبعض الأحزاب السياسية إلى حواضين فكرية ولوجسية داعمة للإرهاب وبما قوى من شوكة الإرهاب في العراق ولاسيما في السنوات ٢٠٠٦-٢٠٠٧. وان الانحراف والقصور الذي اتسم به أداء وكالات التنشئة الاجتماعية العراقية قد ولد الشرارة الأولى أو المادة التي انطلق منها الغلو والتطرف من الجماعات الإرهابية التي تدفقت إلى العراق من وراء الحدود بعد ٢٠٠٣، ووجهت أعمالها الإرهابية نحو شرائح وفئات من داخل الدولة.

ب- النظام الوظيفي القائم على المحسوبية والولاءات السياسية تفويض أسس التوزيع الكفوء للخدمات ويؤدي إلى وجود إدارة غير عادلة لقوانين الضريبة والتنظيم وعندما تعشش المصالح الشخصية والفساد داخل أي حكومة تحاول إن تسير في نهج ديمقراطي وإنتاجي مصغر فان ذلك يعني إعاقة الإصلاح السياسي والاقتصادي وإفقاده شرعيته والهدف ليس عزل الإدارة الحكومية تماماً عن السياسة وهو أمر مستحيل على أي حال ولكن العثور على طرق تشكيل حلاً وسط لهذه العلاقة تقليدياً يعتبر الموظف المدني محايداً في السياسة مستقراً في مهنته (سوزان، اكرامان، ٢٠٠٣: ١٣١).

ج- إصلاح نظام الخدمة المدنية: يعتبر شأناً ملحاً في العديد من مناطق العالم فعلى سبيل المثال يتوجب على الديمقراطيات الحديثة في الدولة النامية تطوير نظام خدمة مدينة مستقبلي من اجل عصرة الدولة وتطويرها كما يتوجب عليها تقسيم الأعباء بين أجهزة الخدمة المدنية والأنواع الأخرى من المؤسسات والجماعات خارج البنية الحكومة الرسمية فالبنى الحكومية المتوارثة من الأنظمة الاستعمارية السابقة ابتعدت عن البيروقراطية النموذجية في طرق عدة فقد ظل الموظفون الكبار يمثلون المستعمرين لا بل عمدوا إلى خرق مبادئ البيروقراطية من خلال زج أنوفهم وتدخلهم الواسع في الصراعات السياسية مفضلين مصالح الغرباء التيارية على مصالح أوطانهم حتى أنهم

عاملوا مواطنيهم معاملة ظالمة وغير منصفة لذا يوصي (لابيدو ادموليكن) وهو تلميذ ذو باع طويل في البيروقراطية الإفريقية باستخدام موظف مدني صغير يستطيع إن يقوم بعدة مهمات بعيدا عن مسؤولية الحكومة المركزية كما يشدد على أهمية محاسبة السياسيين للمسؤولين الكبار (سوزان، اكرامان، ٢٠٠٣: ١٣٣).

المبحث الثاني: فكر الإمام علي (عليه السلام)

١-٢: شخصية الإمام علي (عليه السلام):

علي بن أبي طالب (عليه السلام) حارت بها العقول وتداعت لها النفوس وهوت عند إقدامها العلوم ولعل ارتباط شخصية الإمام (عليه السلام)، بقضية الإمام كأحد معتقدات الشيعة الأمامية قد أوغر عليه الصدور وهو من هوى في العلم الشجاعة والفصاحة وهو من فيه الشرف والكرامة فهوة اخو الرسول الخاتم (صلى الله عليه واله وسلم) وحامل لوائه في الدنيا والآخرة وهو الشاهد والشهيد فوجوده كان سراً علوياً وحياته كانت كنز من الأسرار (فالسلم عليه) يوم ولد في البيت ويوم جاهد وناصر وحاطى الرسالة وصاحبها ويوم استشهد في بيت من بيوت الله ويوم يبعث حياً.

إن حياة الإمام (عليه السلام)، أشبه ماتكون بمحيط لا يتيسر للمرء الإحاطة بكل أفاقه بنظرة واحدة أو حتى عبر دراسة طويلة فالمحيط من حيثما تأتيه تجده زاخراً بالعظمة، تجده مجمعاً لبحور عميقة القعر ولو دخلنا المحيط من جانب شخصية الإمام (عليه السلام)، حيث ترى آيات العظمة والمشاهد والصور المختلفة وإذا أوردناه من ضفة ثالثة أو رابعة أو خامسة أو عاشرة فيأتي نفس الكلام أيضا فترى كل جهة عجائب أخرى. هذا طبعاً مجرد مثال مصغر ولا يفني بالغرض عن شخصية الإمام علي (عليه السلام)، ومن حيثما تنظر إلى هذه الشخصية تجدها تنطوي على عجائب جفه، ولا مبالغة في هذا بل انعكاس اعجز إنسان درس حياة الإمام (عليه السلام)، سنوات متعددة واستشعر هذا الإحساس في نفسه وأدرك إن شخصية الإمام (عليه السلام)، سير أغوارها بأسباب الفهم المتعارف من ذهن وعقل وحفظ وادراكات عادية لان كل جانب من جوانبها زاخر بالعجائب طبقاُ للإمام (عليه السلام) نسخة مصغرة عن رسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، (المجلسي، ٢٠٠٩: ٢٩).

١- مثال رأفته ورقته: الرأفة والرفقة لا تنسجم مع الحزم والصلابة، لكن عطف ورأفة والرفقة الإمام(عليه السلام)، كانت في ذراها الأعلى الذي قلما يبلغه إنسان عادي فالذين يساعدون المساكين ويتفقدون العوائل الفقيرة كثيرون إلا إن الشخص الوحيد الذي كان يؤدي هذا في عهد وفترة حكومته واقتداره وتسلطه أولاً ويكون هذا العمل دأبه على الدوام ولم يكتف بأدائه مرتين أو ثلاثاً بل ثانياً وثالثاً لم يكن يقتصر على تقديم العون المادي فحسب بل يذهب إلى هذه العائلة ويتحدث مع هذا الشيخ ويجلس مع هذا العزيز ويلطف الصغير ويأنس بهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم ويقدم لهم العون هو الإمام علي(عليه السلام)(المجلسي، ٢٠٠٩: ٢٩).

٢- مثال ورعه وحكومته: الورع يقصد به اجتناب كل ما تحمل فيه الكراهية ولكن كيف ينسجم هذا مع الحكومة هل يتسنى للإنسان إن يكون ورعاً إلى هذا الحد وهو في الحكم فنحن ألان بالحكم نشعر بأهمية وجود مثل هذه الخصلة لان الإنسان في الحكم هو يتعامل مع قضايا عامة، وينفذ قوانين، ولكن ربما يكون في هذا القانون ظلم لإنسان في مكان ما، والشخص المكلف بتنفيذه بشراً أيضاً وقد يسيء تطبيق القانون فكيف يتأتى للمرء التزام الورع في كل هذه التفاصيل الجزائية التي تستعصي على الإحاطة لهذا يبدو في الظاهر إن الحكومة والورع لا يجتمعان، إلا إن الإمام(عليه السلام) جمع غاية الورع مع أقوى حكومة وهذا ما يثير العجب ولم يكن يجامل أحداً فإذا استشعر من وال ضعفاً وأحس انه لا يناسب هذا العمل عزله.

٣- اجتماع القوى والمظلومية في الإمام(عليه السلام): هل كان ثقة رجل في عصره أقوى منه، أوله مثل تلك القوة الحيدرية لم يتحد علياً(عليه السلام) أحداً ولم يجرأ أحداً على ادعاء ذلك حتى آخر حياته نفس هذا الإنسان كان اكبر أهل زمانه مظلومية والأكثر ظلامه منهم بل يقال وهو قول صحيح لعله أكثر إنسان ظلم في تاريخ الإسلام. إن القوة والمظلومية شيئان لا يجتمعان فالمتعارف إن الأقوياء لا يظلمون غير إن الإمام(عليه السلام) ظلم.

٤- زهد وأعمار الإمام(عليه السلام): كان مثلاً في زهده وإعراضه عن الدنيا ولعل ابرز أو احد ابرز مواضيع نهج البلاغة هو الزهد وهو في نفس الحال طوال فترة الخمسة

والعشرين سنة بين وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وتسلمه للخلافة كان ينفق من ماله الخاص في أعمال العمران فكان يزرع البساتين والمزارع ويحفز الآبار ويشق الأنهار والمدهش انه كان يتصدق بكل ذلك في سبيل الله. لا باس إن تعلم بان أمير المؤمنين (عليه السلام) كان أكثر الناس عائدات في عصره وقد نقل عنه انه قال "إن صدقتي لو وزع على بني هاشم لوسعهم" لكن هذا الإنسان الذي كان يعيش حياة فقيرة على اشد ما يكون من الفقر لأنه ينفق كل تلك الثروة في سبيل الله (Anew, ١٩٨١: ٥٧٧).

٥- استغفار الإمام علي (عليه السلام): من خصائص الإمام (عليه السلام) الاستغفار إذ كان للدعاء والتوبة والإنابة والاستغفار مكان واسع في حياته وقد كان يقاتل ويعبئ الجيوش ويدير شؤون دولة كانت تعتبر من اكبر الدول يوم ذاك وحكمها تناهز الخمس سنوات وكانت تظم حوالي عشر بلدان وهذا السلطان الواسع بكل ما يستلزمه من وجود ومساع كان أمير المؤمنين يدير بكل جدارة إضافة إلى ميادين الحرب وإدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين والقضاء بين الناس والمحافظة على حقوق أبناء المجتمع كانت أعمالا كبرى ومهمة وتتطلب عملا ومثابرة وتستحوذ على وقت الإنسان برمته ومثل هذه المواقف يقول الإنسان المحدود ببعد واحد إن دعائي وعبادتي هو هذا فانا اعمل في سبيل الله لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل هذا بل كان يؤدي تلك الأعمال ويعبد أيضاً. ويسأل غفران خمسة ذنوب "اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم اللهم اغفر لي الذنوب التي تجبس الدعاء.... الخ".

٦- الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مثل أعلى وقدوة: المسلمون وغير المسلمون يتكلمون بهذه الشخصية المقدسة ويكتبون حول الإمام علي (عليه السلام)، إلا إن ما قيل ليس كافياً في بيان جميع إبعاد شخصيته هذه الأعجوبة والنموذج للقدرة الإلهية الكاملة والكلمة التامة له وبديهي إننا سبب المشكلة غالباً فنحن الذين لا يمكننا تصور هذه الشخصية المعنوية والروحية لضعف أذهننا واستثناسنا بالمقاييس المادية والأناس العاديين نعم بالإمكان رسم ملامح تلك الشخصية المعنوية العظيمة في الذهن ببركة أقوال من هم بمستوى أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أعلى منه وهو خاتم الأنبياء محمد

المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) فقد وردت رواية إن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) لجمع من أصحابه "من إرادة إن ينظر إلى ادم في علمه أو إلى نوع في تقواه والى إبراهيم في حلمه والى موسى في هيبته والى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام). إن أمير المؤمنين (عليه السلام) إمامنا وإمام جميع المسلمين أي إن الجميع يعتقدون به كإمام ولكن ما معنى الإمام يعني إن نلاحظ إبعاد هذه الشخصية كالنموذج الرفيع الذي نضعه إمامنا ثم نحاول بناء شيء شبيه به يجب إن نروض أنفسنا لنكون شخصيتنا من حيث السلوك الفردي والعلاقة مع الله والتعامل مع الأخ المسلم في المجتمع والتعرف فيما لدينا من أموال وإمكانات ووسائل من بيت المال (العالمي: ٢١٢).

٢-٢: عدالة الإمام (عليه السلام) في الحكم وبناء الدولة والمحافظة على أموالها:
 إن سياسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، العادلة في توزيع المال كانت امتداداً لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) الذي عني بتطوير الحياة الاقتصادية وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد ومن مظاهر هذه السياسة ماياتي:
 ١- المساواة في التوزيع والعطاء فليس لأحد على احد فضل أو امتياز وإنما الجميع على حد سواء فلا فضل للمهاجرين على الأنصار ولا للعرب على غيرهم.
 ٢- عدم الاستئثار بالمال العام فإذا ورد عليه مال لم يبقى منه شيئاً الاقسمه على الفقراء، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول (يا دنيا غري غيري).

٣- الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية وإنشاء المشاريع الزراعية والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور وقد أكد الإمام (عليه السلام) في عهد (المالك الاشر) على رعاية إصلاح الأرض قبل اخذ الخراج منها.

إن النظام الاقتصادي الذي اعتمده الإمام علي (عليه السلام) يهدف إلى إقامة مجتمع عادل ومتوازن لاتقف فيه الإقطاعية أو الرأسمالية موقف التسلط والتسيد على رقاب الناس ولا يوجد فيه فقير ومحروم وبائس فقد كان الإمام شديداً وعادلاً مع اقرب

المقربين وحادثة أخيه (عقيل بن أبي طالب) هي دليل قاطع على عدالته فعندما طلب عقيل مساعدة من بيت المال اكبر مما يستحق، حمى الإمام (عليه السلام) له حديده وقربها إلى يده. جاعلاً من ذلك الموقف عبرة ودرسا للعدالة والمساواة بين الرعية (النصراوي، ٢٠١٥: ٣).

٢-٣: الإجراءات التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) لإصلاح وبناء الدولة. استلم الإمام علي (عليه السلام)، الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بسبعة أيام في (٢٥) ذي الحجة عام (٥٣٥هـ) فوجد الأوضاع متردية بشكل عام وعلى اثر ذلك وضع خطة إصلاحية شاملة ركز فيها على شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم وهي: أولاً: تطهير جهاز الدولة:

أول عمل قام به الإمام (عليه السلام)، فور توليه لمنصب رئاسة الدولة هو عزل الذين سخروا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصة واثروا ثراء فاحشاً مما اختلسوه من بيوت المال. ثانياً: تأمين الأموال المختلسة:

اصدر الإمام (عليه السلام)، قراره الحاسم بتأميم الأموال المختلسة التي نهبها الحكم المباد.

ثالثاً: التبع الإمام علي (عليه السلام):

امتحن الإمام (عليه السلام)، امتحاناً عسيراً من الأسر القرشية وعانى منها اشد ألوان المحن والخطوب في جميع ادوار حياته فيقول "لقد أخافتني قريش صغيراً وانصبتني كبيراً حتى قبض الله رسوله (صلى الله عليه واله وسلم)، وكانت الطامة الكبرى والله المستعان على ما تصفون" ولم يعرهم الإمام (عليه السلام)، اهتماماً وانطلق يؤسس معالم سياسته العادلة ويحقق للأمة ما تصبوا إليه من العدالة الاجتماعية.

٢-٤: سياسته في القضاء ومواصفات قضاة (عليه السلام):

تميزت سياسة الإمام (عليه السلام) بالعدالة والصرامة وعدم المراهنة مع أي طرف مهما علا شأنه أو قرب نسبه، فقد كان جل اهتمامه بشريحة الفقراء والمساكين وأهل الحاجة مما جعل منهجه في السياسة الاقتصادية يعتمد مبدأ توزيع الأموال بصورة عادلة وسريعة على مستحقيها، لذلك حدد الإمام علي (عليه السلام) صفات القاضي بما يلي:

- ١- إن يكون ممن لا تضيق به الأمور ولا تغضبه الخصوم.
- ٢- إن لا يتمادى في الزلة.
- ٣- إن لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق إذا أخطأ.
- ٤- إن لا تشرف نفسه على طمع.
- ٥- إن يكون عميق النظر لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه.
- ٦- إن يكون حازماً عند اتضاح الحكم.
- ٧- إن يكون طويل الأناة لا يضيق بمراجعة الخصم وصبوراً حتى تنكشف الأمور له.
- ٨- إن لا يستخفه زيادة الثناء عليه ولا يستميله إغراء (الشمري، ٢٠٠٧: ٤).

المبحث الثالث: الدولة الحديثة

٣-١: مفهوم الدولة الحديثة:

ولدت الدولة الحديثة بتطور داخلي وبتكافئ بين المستوى الحضاري والصمود السياسي وانه دولة تستمد وجودها من الشعب والعقيدة وان الدين واللغة والتربية والتاريخ لا مساومة عليها إن كرامة المواطن فيها من كرامة الوطن.

فالدولة الضعيفة لا تستطيع حماية نفسها ولا حماية شعبها ولهذا يرى (جاك دوفايير) إن الضمانة الأولى للحقوق هي توافر دولة قوية. إن فكرة الدولة في هذا السياق التأسيسي لاتعدو إن تكون إطاراً سياسياً جديداً لإدارة شان الجماعة فوق القبيلة يتعدى لضوابطها واشتراطاتها القائمة بالأساس على تعاقد طوعي بين مكوناتها يحفظ الاستقرار الأمن للجماعة ويوفر ظروف التعايش بين أفرادها ويؤمنها إزاء أعدائها والمتربصين بها بالداخل والخارج. ومن خلال ما تقدم يمكن تعريف الدولة عبارة عن رقعة من الأرض موحدة ومنظمة سياسياً مسكونة من قبل سكان أصليين لها حكومة وطنية ذات سيادة على الجميع أطراف الدولة ولديها القوة الكافية لحماية الدولة.

وعرفها (فيفلد وبيرس) بأنها الدولة التي تحكم نفسها ولها كافة حقوق السيادة. وعرفها (هارام دويليه) بأنها ارض أو إقليم طبيعي محدد وشعب متميز يسكن هذه الأرض وحكومة أو نظام سياسي له سلطة. والدولة تتكون من ثلاث عناصر الأرض،

الشعب، النظام السياسي (السلطة) والدولة لا توجد إلا إذا وجدت الجماعة السياسية المنظمة المستقلة عن شخصية الحكام (العروي، ٢٠١١: ١٣).

والدولة تنظيم اجتماعي فهي اصطناعية لا يمكن إن تتضمن قيمة الحياة الدنيا كلها، تتعلق القيمة بالوجدان الفردي إذ يتجه نحو الغاية المقدرة له. إذا كانت الدولة في خدمة الفرد لكي يحقق غايته فهي مقبولة شرعية مع أنها تبقى اصطناعية ومؤقتة مثل جميع الكائنات إذ هي تجاهلت الهدف الأسمى أو عارضته إذا هي منحت الفرد من إن يلبي الدعوة الموجهة إلى وجدانه أو ضايقته فهي مرفوضة لا شرعية سيئة لكنها إذا تعامت عن الهدف الأسمى الذي يتطلب تنفيذ قانون معين فهي شر باطل في كل الأحوال تبقى الدولة في مرتبة ثانوية لكن أقبلت إن تخدم الفرد الذي يتهيأ لتحقيق الهدف الأسمى فإنها تكتسب قيمة مستعارة من غاية ما ورائية حينذاك تخضع لقانون سابق تقبل إن تخدم غاية لم تحددها هي تتهيأ لتضمحل حيث يعود من واجبها إن تنكمش أكثر ما يمكن وان توسع النطاق الذي لا يحتاج الفرد إليها فيه تبرر الدولة وجودها بأنها تقوم بالماديات تخدم الفرد لكن ليس من حقها إن تحجب عن الغاية التي من اجل تحقيقها (العروي، ٢٠١١: ١٤-١٥).

إن قوة الإنسان هي قوة جماعية إذا نظرنا إليها من زاوية الحاضر وجدناها تنشأ عن التعاون وإذا نظرنا إليها من زاوية الماضي وجدناها مدخرة في العادات الثقافية. فالدولة ظاهرة من ظواهر الاجتماع الطبيعي ولدت حسب قانون طبيعي حكمها إذن مندرج تحت حكم المجتمع العام إذا بقيت خاضعة لقانون تولدها وظهورها كانت طبيعية أي معقولة لذا لا ينشأ تناقض بينها وبين المجتمع أو بينها وبين الفرد إذ حصل تناقض فليسبب غير طبيعي ناتج عن خطأ أنساني متعمد وفي تلك الحال تنشأ الدولة الاستبدادية الظالمة الدولة إما طبيعية وهي صالحة وإما فاسدة لأنها غير طبيعية (العروي، ٢٠١١: ١٧).

٣-٢: الدولة الحديثة حسب فكر الإمام علي (عليه السلام):

إن الدولة الإسلامية التي بناها الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) كانت تتجاوزاً راديكالياً للانتظام القبلي، وتجلى هذا التجاوز بشكل رئيس في بناء العضوية أو المواطنة على التزام تعاقدية يستند إلى جملة من المصالح، لا على رابطة الدم، التي

أمست ضعيفة ولا يلتفت إليها. غير إن عدداً من الحوادث والتطورات السياسية المرتبة بالصراع بين الجماعة الإسلامية وقريش، افتقرت هذه المواطنة، وأضعفت محتواها التعددي دينياً وسياسياً، وخاصة بعد تورط اليهود في مؤامرات تستهدف امن دولة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو ما أدى في النهاية إلى ظهور الدولة الإسلامية بمظهر الدولة الدينية التي لا تعترف بالمواطنة الكاملة سوى لأهلها من الملة المسلمة. وعرفه الإسلام الدولة المستقلة صاحبة السيادة عن أشخاص الحكام فالحاكم يمارس السلطة بصورة مؤقتة ونيابة عن الأمة (الطريقي وآخرون، ٢٠١٥: ١١).

يتجاوز هذا القول، قول فولتير، إذ إن فولتير يشير إلى إمكانية إن يكون موضوع الدولة أمراً مختلفاً عليه، في حين يشير قول الإمام علي (عليه السلام) إلى حق المواطنين في نقد تصرفات الدولة من خلال تحقيق مصالحهم أو عدم تحقيقها، وبالتالي فإن هناك تخصيصاً للوظيفة الأساسية للدولة وهي تحقيق العدالة بمختلف أصنافها، سياسية أو قضائية أو اجتماعية.

كما يعني قول الإمام (عليه السلام) حق المواطن في التعبير عن رأيه في نقد الدولة وممارساتها، ويذهب ابعده من ذلك حين يؤكد النص على إن الدولة تعبير عن مصالح مواطنيها ولذلك فإنهم أحرار في نقد سياسة الدولة إذا لم تعبر عن مصالح المواطنين. وهذا يجعل الدولة أو السلطة تحت معيار الرقابة الشعبية كما يحدث في الدول الديمقراطية المعاصرة.

ولكن الإمام علي (عليه السلام) لا يتوقف عند محتوى النص، فهو حاكم مطبق لنصه ومحتواه فعلياً. فإثناء خلافته طبق الإمام (عليه السلام) من خلال عدة إحداث التزامه، وهو الحاكم، بتطبيق بنود نصه وفكره وموقفه. إن حوادث واقعية كثيرة تثبت ذلك، وقوفه مع اليهودي الذي رهن لديه درعه واعتراضه على تمييزه من قبل القاضي بتكنيته، وقبوله النقد الموجه إليه من مواطنيه وموقفه من الخوارج كمعارضة لها الحق في الاعتراض السلمي ونقد السلطة (ياسين، ٢٠١٠: ٥٢).

٣-٢-١: معالم الدولة الديمقراطية في فكر الدولة عند الإمام علي (عليه السلام):
يهتم الإمام علي (عليه السلام) بفلسفة الدولة ومؤسساتها ومؤسسات المجتمع المدني ودور القطاعات المهنية والاجتماعية وتمثيلها في الحكم، فيقول (اعلم إن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولاغني بعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، عهدا منه عندنا محفوظاً) (الأنصاري، ١٩٨٣: ٥٣).

ويعود الإمام علي (عليه السلام) إلى أمر الخراج كونه المصدر الأول للضرائب التي تقوم عليها الدولة (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولإصلاح لمن سواهم إلا بهم، لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً) (الأنصاري، ١٩٨٣: ٨٣).

وتكشف التطورات اللاحقة لخلافة الإمام علي (عليه السلام) صدق هذه المبادئ، خاصة فيما يتعلق بالتعسف الأموي في أستحصال الضريبة على حساب عمارة الأرض، الأداة الرئيسية للإنتاج آنذاك. ويؤكد نص الإمام علي (عليه السلام) على قضية بالغة الأهمية وهي إن الناتج الاقتصادي لا يقوم على الجباية، بقدر ما يقوم على توفير المستلزمات الأساسية لاستمرار الموارد المالية، وهي إصلاح الأرض ومساعدة عمالها على التغلب على العقبات الطبيعية، مثل الجفاف والفيضانات فحماية مصدر الموارد أهم من الحصول عليها (وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج) (جرداق، ١٩٣١: ٥١).

٣-٢-٢: الدولة الحقوقية الحديثة والعدالة عند الإمام علي (عليه السلام):
ويجسم الإمام علي (عليه السلام) موضوع العدل حسماً أكيداً يلغي فائدة الجدل الذي نشأ فيما بعد حول الإيمان والاستبداد والكفر والعدالة فلا يبرر لمؤمن إن يجور ويستبد باسم الإيمان حين قال (الكافر العادل خير من المسلم الجائر) إذ يضع العدالة في أهميتها ومصالحها العامة فوق الإيمان الفردي، وهو مبدأ من أهم مبادئ الديمقراطية الحديثة.
إما على مستوى التطبيق العملي لفكرة سيادة القانون وتطبيق العدالة على الجميع، فإن حادثتين كافيتين لتأكيد التطبيق العملي للنص. فبعد اغتيال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، أقدم ابنه عبيد الله على قتل الهرمزان دون محاكمة أو توجيه تهمة أو قضاء، وظل في حماية الخليفة الثالثة عثمان بن عفان دون قصاص رغم مطالبة المسلمين به وعلى رأسهم الإمام علي (عليه السلام). فطلبه علي (عليه السلام) حين تولى الخلافة لتنفيذ العدالة فهرب والتحق بمعاوية. إما الحادثة الثانية فكانت أيضاً في زمن عثمان حين كان الوليد بن عقبة الذي كان قريباً لعثمان وكان سكيراً حتى في أيام ولايته الكوفة فخرج ذات يوم من ملهاه سكران إلى المسجد فصلى بالناس الفجر أربع ركعات وقال لهم ساخراً (إذا شئتم زدكم) في احتقار بين وواضح للفرائض فشكاه أهل الكوفة وشهدوا عليه وطالبوا بإقامة الحد، لكن عثمان كان قد وصل إلى مرحلة إرهاب المسلمين عبر أقاربه المتسلطين وعبر إجراءاته التي كانت تمالئ أقاربه من بني أمية بغض النظر عن إيمانهم وتعادي الصحابة الأوائل مثل أبي ذر وعمار وغيرهما. لكن الإمام علي (عليه السلام)، الذي يطبق العدالة على أقرب الناس إليه نهض وجلده، وكان من أسباب النزاع بين الإمام علي (عليه السلام) وعثمان الذي غضب وظهرت عليه نزعة تفضيل أقاربه على العدالة والحق (الحسني، ١٩٩٠: ٨٠).

كما عزل الولاة الذين عينهم عثمان ليس لكفاءتهم وعدلهم ونزاهتهم وإنما لقرابتهم منه، ورفض المساومات السياسية حين طلب للبيعة بعض الأمويين ومن أقارب عثمان، فساوموه على الإبقاء على مصالحهم مقابل بيعتهم له، فرفض، وتصرف تصرف رجل الدولة الديمقراطية الحديثة التي تعطي لمعارضها الحق في البقاء على أرائهم، حين أجاب الناطق باسمهم وهو الوليد بن عقبة الذي ذكر الإمام (عليه السلام) بما قام به في معركة

بدر حيث قتل أباه في تلك المعركة، فأجابه الإمام علي (عليه السلام) (إما ما ذكرت من وتري إياكم فالحق وتركم، وإما وضعي عنكم ما في أيديكم فليس لي إن أضع حق الله. وإما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم. وإما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتالهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم إن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم) (جرDAQ، ١٩٣١: ٦٠).

إن المشكلة الكبرى التي واجهت الإمام علي (عليه السلام) سياسياً، كانت نابعة من الفروق الهائلة بين مشروعين للحكم. مشروع يقوم على الوسائل غير المشروعة وعلى مصادرة السلطة والمال العام واستخدام القانون لصالح أقلية حاكمة وحرمان الأمة من العدالة، وبين مشروع رسالة شرعية له، مرجعياته الأخلاقية سياسياً واجتماعياً، يستهدف تحقيق العدالة والمساواة والرفاهية للجميع حسب الإمكانيات المتاحة، وبغض النظر عن الجنس واللون واللغة والمنشأ. ولذلك فانه، حين طالبت امرأة عربية إن يفضلها على أخرى غير عربية في العطاء، فاخذ حفنة من التراب ونظر فيها ثم قال (عليه السلام) (لا أرى في التراب فضلاً لأحد على احد) فالمساواة إذن تنبع لديه من العنصر الإنساني وليس من عناصر أخرى (الحسني، ١٩٩٠: ٨٥).

٣-٣: العوامل التي تساعد على إنشاء دولة حديثة حسب فكر الإمام علي (عليه السلام):

١- الرقابة الخارجية (رقابة الدولة):

أكد الإمام (عليه السلام) الرقابة على العاملين في الدولة وضرورة بث العيون عليهم وتفقد أعمالهم وعدم الاكتفاء بحسن الظن والثقة بهم فالنفس قد تضعف والعيون قد تطمع وتمتد الأيدي بالتعدي على أموال المسلمين.

وفي عهد الإمام (عليه السلام)، وردة مانصه "ثم تفقد أعمالهم وابتعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأموارهم مدوه لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعن بها عليه عندك إخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما

أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقل -دنه عار التهمة" (صياح، أشمري، ٢٠١٤: ٧).

ومن خلال الإجراءات أعلاه يمكن تحقيق التالي:

أ- حماية العاملين في الدولة والولاية من الانزلاق في خيانة الأمانة واكل المال العام.
ب- حفظ المال العام.

ج- صيانة حقوق المجتمع المادية والمعنوية.

د- سرعة إنجاز المشاريع على وفق الخطط التي رسمتها الدولة.

هـ- تعزيز ثقة المواطن بالدولة التي تحاسب عمالها (صياح، أشمري، ٢٠١٤: ٣).

٢- عدم التضحية بالعدالة:

يقولون السياسيون إن إيجاد الأعوان وتأسيس الأحزاب وسد الأفواه بالمال من الوسائل الضرورية لحسن سير السياسة والتدابير كما يصنع معاوية، ولكن الإمام علي (عليه السلام)، كان العدو اللدود لهذه الوسائل والأدوات الضرورية، وكان هدفه وأمله إن يكافح هذه السياسة وطبيعي، حينئذ إن يتألم أرباب المصالح والطامعين منه، منذ اليوم الأول لاستلامه الخلافة وذلك الألم جرهم إلى التخريب وخلق الاضطرابات والفتن والقلق لهذا فقد أقبل على الإمام (عليه السلام) أحباؤه الخيرون المخلصون وطلبوا إليه من باب النصيحة إن يعدل من سياسته هذه لمصلحته يتصورون كما اقترحوا عليه إن يريح نفسه من صراع هؤلاء الطامعين قائلين له ماضرك لو سكت عن المساواة اليوم من اجل (المصالح) ثم قالوا له يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الإشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم واستهل من تخاف عليه من الناس بالمال، وهم بذلك ناظرين إلى ما كان يصنع معاوية ولم يكن رؤساء القبائل في العراق يطمعون بأكثر من هذا لكن الإمام علي (عليه السلام) أجابهم قائلاً "اتامرون إن اطلب النصر بالخور فيمن وليت عليه والله ما أطور به ماسمر سمير وما أم نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله، الأوان إعطاء المال في غير حقه تذيير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهيئه عند الله" (عاصي، ١٩٩٦: ٦٦-٦٧).

٣-٤: الحركة الإصلاحية الشاملة التي قام بها الإمام علي (عليه السلام):

تحتاج أسس الدولة إلى مراجعة دائمة وإلى تفحص مستمر لواقعها وأوضاعها من أجل معالجة نقاط الخلل والنقص لأن كل مجتمع بشري لا يخلو من نقاط ضعف تحتاج إلى مصاف المجتمعات المتحضرة لذلك هناك مجموعة من الإصلاحات الشاملة التي قام بها الإمام (عليه السلام)، من أجل إعادة بناء الدولة وهي:

١- الإصلاح الإداري: حيث قام بعزل معظم الولاة عن الأمصار ومسؤولي الجهاز التنفيذي الإداري من الدولة وإقصاء أولئك النفعين الذين لم يكن لهم هم في الحياة سوى السلب والنهب وكنز الذهب والفضة والتسلط المبرر على رقاب المسلمين وقال الإمام (عليه السلام) في ذلك: (والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيا من أمري).

٢- الإصلاح الاقتصادي: وتمثل بإرجاع قطاع العهد السابق وأقطاب الحاشية الحاكمة لأصحابها الشرعيين وتوزيع الثروة بشكل عادل وإلغاء التصنيف الطبقي للناس ومصادرة الأموال التي نهبها المدللون من خزنة الدولة. ليتمتعوا بها على حساب الجماهير الجائعة المحرومة وإعادة تنظيم بيت المال على أسلوب جديد سليم ومستقيم.

٣- الإصلاح الاجتماعي: وهذا تجلّى في أولى خطواته (عليه السلام)، بإلغاء القيم العشائرية والقضاء على النزعة القبلية السائدة في المجتمع. والعودة إلى قيم الإسلام الأصلية القائمة على أساس المساواة العامة الشاملة فلا تفاضل بين قوم وقوم وجنس وجنس. ولا شان أبداً للعرف أو اللون أو العمر أو أي امتياز آخر من الامتيازات العرفية التي كان تتمايز بها الناس ولا تصنيف للطبقات والفئات الاجتماعية ولا تمايز بالألقاب ولا تفاخر بالتربية والأموال والأولاد (الشمري، ٢٠٠٧: ٣).

٤- الإصلاح السياسي: أعلن عن عزل العمال والولاة السابقين على الأقاليم ولم يتراجع عن ذلك عندما حاول البعض الحؤول دون ذلك وهذا موقف شهير في كل كتب التاريخ.

٥- في ميدان القطن: كانت هناك الأرض التي جعلها الخليفة عمر ملكاً خاصاً لبيت المال ثم جاء عثمان فجعلها ملكاً له ولأعوانه وأهل بيته فالقد ألغى هذه العقود وقرر رد هذه الأرض إلى ملكية الدولة وحوزة بيت المال.

٦- في ميدان العطاء: احدث الإمام علي (عليه السلام)، تغيراً ثورياً لعله اخطر التغيرات الثورية التي قررها والتي أراد بها العودة بالمجتمع إلى روح التجربة الثورية الإسلامية الأولى على عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، ذلك لان النظام الذي كان معمولا به في عهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، هو نظام العطاء وقسمة الأموال العامة بين الناس بالمساواة (أشمري، ٢٠٠٧: ٢).

٧- السياسة المالية: كانت السياسة المالية التي انتهجها الإمام (عليه السلام)، امتدادا لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم)، الذي عني بتطوير الحياة الاقتصادية وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد بحيث لا يبقى فقيراً أو بائس أو محتاج وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعاً عادلاً على الجميع ومن ومن مظاهر سياسته: أ- المساواة في التوزيع والعطاء.

ب- الاتفاق على تطوير الحياة الاقتصادية.

ج- عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة.

٨- السياسة الداخلية: عني الإمام (عليه السلام)، بإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته من الأمن والرخاء والاستقرار ونشير فيما يلي إلى بعض مظاهرها:

أ- المساواة: وتتجسد في المساواة في الحقوق والواجبات والمساواة أمام القانون.

ب- الحرية: إما الحرية عند الإمام (عليه السلام) فهي من الحقوق الذاتية لكل ويجب إن تتوفر للجميع شريطة إن لا تستعمل في الاعتداء والإضرار بالناس وكان من ابرز معالمها هي الحرية السياسية.

٩- الدعوة إلى وحدة الأمة: وجهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها واعتبر (عليه السلام)، الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة.

١٠- تربية الأمة: وقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام)، اهتمامه بتربية الأمة فاتخذ جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاضراته الدينية والتوجيهية وكان الإمام (عليه السلام)، يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله وإظهار فلسفة التوحيد وبث الآداب والأخلاق الإسلامية

مستهدفاً من ذلك نشر الوعي الديني وخلق جيل يؤمن بالله إيماناً عقائدياً لا تقليدياً (المحمودي، ١٤١٨هـ: ١٢٥).

الاستنتاجات:

١- إن الإمام علي (عليه السلام) يعد تجسداً حياً للشريعة الإسلامية برافديها القرآن الكريم والسنة النبوية، مضافاً إليهما إبداع الإنسان المتميز في تطبيق النص على ارض الواقع ولاسيما في مجال حقوق الإنسان إذ شملت رؤيته مساحة واسعة من تلك الحقوق دعا إليها وجسدها في ميدان التطبيق العملي.

٢- اتبع الإمام (عليه السلام) سياسة إرجاع المال العام، بحق الأموال التي وزعت بدون عدالة، أين كان الغرض من توزيعها، واعتماده على قاعدة العدل والمساواة في توزيعها.

٣- إن تحديد الموقف هو الأساس، فموقفنا السياسي يجب أن يركز على ما تحققه المصلحة الإسلامية ويخدم الأهداف الرسالية، لنتمكن من نشر رسالتنا وتحقيق الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمادي الأفضل للبشرية.

٤- دعا الإمام (عليه السلام) إلى إن ينعم الإنسان بحق المساواة العادلة في إبعاده كافة سواء البعد الإنساني، أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، إلا إن الدعوة النظرية والممارسة العملية للإمام لترسيخ هذا الحق لم تكن على حساب المعايير الموضوعية للتفاضل بين الناس والتي عمل بموجبها استناداً إلى الشريعة الإسلامية، وذلك لتحقيق العدالة بين البشر من جهة وتطوير المجتمع والارتقاء بالوجود.

التوصيات:

١- من الضروري إتباع منهج الإمام علي (عليه السلام) في معالجة مشكلات الأسس الاقتصادية والمالية والاجتماعية، من خلال الإصلاحات التي قام بها من اجل بناء دولة ناجحة وحديثة.

٢- من الضروري على المسؤولين في الدولة الاطلاع على المنظور السياسي عند الإمام علي (عليه السلام) من اجل إحياء إحكام الدين والدفاع عن المحرومين واخذ الحق من المعتدين.

٣- العمل بنظام الشورى أي يجب مناقشة أمور المواطنين عن طريق ممثلهم في الدولة، لسماع آراءهم وحل مشاكلهم قبل اتخاذ القرارات التي تخصهم، وهذا نوع من أنواع العدالة الاجتماعية التي يتبعها الإمام علي (عليه السلام).

المصادر:

١- صياح، رحيم علي، عبد الحميد حمودي أشمري، الفكر الرقابي عند الإمام علي (عليه السلام)، بحث منشور في مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٢، العدد ١، لسنة ٢٠١٤.

٢- بجنيت، حيدر نعمة، فريق جواد مطر، السياسة المالية في العراق ودورها في التأثير على عرض النقد خلال المدة (١٩٧٠-٢٠٠٩)، بحث منشور في مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية / جامعة الكوفة / العدد ٢٥ / السنة الثامنة / المجلد ٨، لسنة ٢٠١٢.

٣- سوزان، روز اكرمان، الفساد والحكم (الأسباب، والعواقب، والإصلاح) مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ترجمة فؤاد سروجي، لسنة ٢٠٠٣.

٤- الشمري، علي، دولة الإمام علي (عليه السلام) - بعض الملامح، مجلة النبأ، العدد ٣٤، ربيع الأول، السنة ٥، لسنة ٢٠٠٧.

٥- السعيد، حامد، الإمام علي (عليه السلام) ونظام الحكم، مجلة النبأ، العدد ٥٠، تشرين الأول، لسنة ٢٠٠٠.

٦- عاصي، عبد الهادي، المنهج السياسي عند الإمام علي (عليه السلام)، دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٧- طه، محمد، الإمام علي (عليه السلام) ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، لسنة ١٩٩٧.

٨- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، الجزء الرابع، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، لسنة ٢٠١٤.

٩- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الجزء الأول، المجلد ١، الطبعة الأولى، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي،

السنة الهجرية ١٤١٨.

- ١٠- Fletcher, R, The Making of Sociology, Beginning and Foundations, Nelsons University, G.B. Volume one, ١٩٧٢.
- ١١- صديق، حسين، الاتجاهات النظرية التقليدية لدراسة التنظيمات الاجتماعية- عرض- وتقويم، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد الثالث والرابع، ٢٠١١.
- ١٢- المجلسي، العلامة محمد باقر(قدس سره)، بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، الجزء ٤١، لسنة ٢٠٠٩.
- ١٣- العاملي، أبي محمد علي بن يونس، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق محمد الباقر البهبودي، مركز الأبحاث العقائدية، الجزء الأول، الطبعة الالكترونية.
- ١٤- جرداق، جورج، الإمام علي(عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، المجمع العالمي لأهل البيت، دار الأندلس، دار مكتبة الحياة، الدار العربية للموسوعات، دار صعصعة، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٣١.
- ١٥- الحسني، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ١٦- ياسين، نبيل، فلسفة الدولة عند الإمام علي(عليه السلام)، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، ٢٠١٠.
- ١٧- الأنصاري، علي، عهد الإمام علي(عليه السلام) إلى مالك الأشر، دار سروش للطباعة والنشر- طهران- الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الطبعة الأولى، لسنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ١٨- الطريقي، انس وآخرون، مفهوم الدولة"الدولة الإسلامية- دولة الخلافة" مفاهيم متلبسة في الفكر العربي المعاصر(١)، الرباط- اكدال- المملكة المغربية، لسنة ٢٠١٥.
- ١٩- العروي، عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء المغرب للنشر، الشارع الملكي(الاحباس)، بيروت - لبنان- شارع جاندارك- بناية المقدسي، الطبعة التاسعة، لسنة ٢٠١١.

٢٠- النصراوي، سلام عادل، السياسة المالية والاقتصادية عند الإمام علي (عليه السلام)، بحث منشور في مجلة الولاية، دينية، اجتماعية، ثقافية، العتبة العلوية المقدسة، قسم الإعلام- شعبة الصحافة، العدد ٧٧، لسنة ٢٠١٥.

٢١- السيد، سعاد محمد، الأسس الاجتماعية لبناء المنهج، موسوعة التعليم والتدريب، ٢٠٠٩.

٢٢- المرسي، وجيه، الأساس الاجتماعي للمنهج المدرسي، بوابات كنانة أو نلاين، ٢٠١٢.

[http:// Kenanaonline.com/profile](http://Kenanaonline.com/profile).

٢٣- رزق، الشيخ خليل، مرتكزات النظام الاجتماعي عند الإمام علي (عليه السلام)، مجلة صدى الولاية- شبكة المعارف الإسلامية، العدد ١٧٧، لسنة ٢٠١٣.

٢٤- Anew Webster's Dictionary Reprinting By Librairie On Liban, Beirut, ١٩٨١.